المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى
في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أثر تعظيم الله تعالى في إصلاح الأمة وتحصينها من الفتن

اسم الباحث

أ / إبراهيم زكريا يونس

إبراهيم زكريا يونس

أثر تعظيم الله تعالى في إصلاح الأمة وتحصينها من الفتن

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ،

وبعد؛ فإن التوحيد أساس الطاعات أعظمها، وهو أعظم أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، إذ هو إفراد الله بالعبادة، والكفر بكل ما يعبد من دون الله تعالىٰ، ولأجله خلق الله الجن والإنس وبعث النبيين عليهم السلام، ولا يمكن أن تصل العبادة إلىٰ أعلىٰ كمالها إلا بتعظيم المعبود، ولقد جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في بيان فضل تعظيم الله؛ فمنها قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم الآية الرابعة جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد لربه وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ»[1]. فالتعظيم يولِّد في النفس الخوف من المعظَّم.

فمن عظّم الله سبحانه وتعالىٰ حقَّ تعظيمه؛ لا بدَّ أن تظهر علامات ذلك علىٰ حاله وجوارحه وأفعاله، فلا تراه إلا خاشعا ضارعا باكيا كلما تفكر في العذاب، وقافا عند حدود الله، سباقا إلىٰ الطاعات فارا من المعاصي والشبهات، مجتهدا في العبادات والقربات ويحصل ذلك باستحضار عظمة الله والخوف منه ومن عقابه فيورث اجتناب محارمه ونواهيه وامتثال أوامره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالىٰ والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، والذي هو حال في القلب يظهر أثره علىٰ الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح»[2].

وعدم تعظيم الله في القلوب يسبب الوقوع في المعاصي، ويقع علىٰ المجتمع آثار ذلك المعاصي، فتحرم المجتمعات من الأمن والاستقرار، وتتوقف عملية التنمية، والمشاريع الزراعية والصناعية، عندئذ تكثر الاضطرابات في المجتمع. علاوة علىٰ ذلك يفقد المجتمع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩٤).

(٢) الصارم المسلول (٦٨).

مكانته السامية التي تتمثل في تقويم أفراده وتوجيههم نحو الصلاح والإصلاح، وإرشادهم إلىٰ توحيد الله، لتصدر منهم عبادة مفعمة بالإخلاص والمحبة والتعظيم لله. ومضمون للأمة أن تصلح بما صلحت به أوّلها.

ويسعىٰ البحث لدراسة أثر تعظيم الله تعالىٰ في إصلاح الأمة وتحصينها من الفتن، عله يكون سببا في نشر ثقافة تعظيم الله لتصلح واقع الأمة الإسلامية.

وهذه الدراسة تحتوي علىٰ المحاور الآتية:

المحور الأول: الأسباب الباعثة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ.

المحور الثاني: أثر تعظيم الله تعالىٰ في إصلاح واقع الأمة.

المحور الثالث: آثار عدم تعظيم الله تعالىٰ.

المحور الرابع: مقومات تحصين المجتمع الإسلامي من الفتن.

والله سبحانه وتعالىٰ أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المحور الأول: الأسباب الباعثة على تعظيم الله تعالى

والأسباب الباعثة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ كثيرة يذكر الباحث منها ما يأتي:

١- المداومة علىٰ التّسبيح لله سبحانه وتعالىٰ، وأمر العباد بالتّسبيح في كلّ الأحوال، بل هو حكمة إرسال الرّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح]. والخطاب يشمل كافّة هذه الأمّة، وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق].

والتّسبيح: هو تنزيه الله تعالىٰ[(١)].

قال الإمام السّعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينزَّه تعالىٰ نفسه المقدسة ويعظمها؛ لأنّ له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة التي من جملتها أن ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]»[(٢)]. وأكثر ما ورد في القرآن الكريم من آيات التّسبيح يراد به التّنزيه مع التّعظيم، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الصافات]، والتَّنزيه يتضمن التَّعظيم، وفيه إثبات الكمال لله تعالىٰ.

٢- التَّأمل الدَّقيق في عظمة مخلوقات الله تعالىٰ يقوي شعور المسلم بعظمة الله. فمِن تدبر في الملائكة وصفاتهم التي جاءت في القرآن وثبتت في السنة، يجعل اللّب مضطرًا إلىٰ تعظيم خالقه وهيبته وخوفه ورجائه، فإنَّ الخالق لهذه المخلوقات العظيمة عظيمٌ ولا شك، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في وصف جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ**»[(٣)] . ومن مخلوقاته أيضًا السموات والأرض، قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]، وكذلك سائر المخلوقات الموجودة في السَّموات والأرض.

٣- الَّتدبر الدَّقيق للقرآن الكريم وما فيه من حِكم وأحكام، والنَّظر فيما فيه من الدُّروس والعبر، وأن نتدبر في الآيات التي تتحدث عن خلق الله وبديع صنعه، قال تعالىٰ:

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١/ ٤٧٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٥٣).

(٣) صحيح مسلم (٤٥٧).

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية]. وجاء القرآن الكريم مزدهرًا بآيات تنطق بالعظمة وتشهد بالرُّبوبية، تسرّ أنفس الواثقين، وتدحض مزاعم المارقين ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور].

٤- تأملات في أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، منها: «السَّميع العليم». عند التَّأمل العميق فيهما يعرف العبد أنَّ له ربًّا يسمعه وخالقًا يبصره، فقوله مسموعٌ من الرَّقيب الحفيظ، وفعله مبصر ومشاهد من العلي القدير، فإذا رسخ ذلك في قلب العبد انقاد إلىٰ أوامر الله تعالىٰ، وانتهىٰ عن نواهيه. ويقول الإمام محمَّد الأمين الشَّنقيطيُّ: «إنَّ الإنسان إذا سمع وصفًا وَصف به خالق السَّموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله، فليملأ صدره من التَّعظيم، ويجزم بأنَّ ذلك الوصف بالغٌ من غايات الكمال والجلال والشّرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزِّهًا معظِّمًا له جلَّ وعلا، غير متنجّس بأقذار التّشبيه»(١).

٥- التَّعرف علىٰ نعم الله تعالىٰ، وتذكر آلاء الله تعالىٰ= يُنتج تعظيمًا لله سبحانه وتعالىٰ، فيكفّ عن معصية الله تعالىٰ، ويقدم علىٰ طاعة الله جل وعلا، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل].

٦- المواظبة علىٰ الطاعات وكثرة الأعمال الصّالحة من فرائض ونوافل، لأنها تقرِّب العبد إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وتقوِّي إيمان العبد ممّا يبعث فيه الازدياد من طاعته وترك معصيته.

٧- محاسبة النفس: إنَّ محاسبة النَّفس من أعظم علامات تقوىٰ الله، قال الله جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨]. فمن حاسب نفسه؛ أدرك خطأه. ومن أدرك خطأه؛ بادر بالتوبة والاستغفار، والإكثار من الخير لينجو من عذاب الله تعالىٰ، وسخطه.

٨- كثرة ذكر الله -جلّ جلاله-؛ وذكر الله تعالىٰ من أعظم العبادات لما فيه من الفضل والأجر العظيم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) الأسماء والصفات نقلا وعقلا (٣٠).

وبالذِّكر تطمئن قلوب العباد، وتكمن السّعادة البشرية، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد].

فمن داوم علىٰ ذكر الله سبحانه وتعالىٰ عظَّمه، ومن عظَّمه أطاعه.

المحور الثاني: أثر تعظيم الله تعالى في إصلاح واقع الأمة

الهدف من الإصلاح، هو: تقويم الاعوجاج الذي طرأ علىٰ مسار البشرية، حتىٰ تسير علىٰ الطريق الذي رسمه الخالق -جلّ جلاله-، ولن يتم ذلك إلَّا بتربية أبناء الأمّة؛ لأنّهم المنفِّذون للشَّرع وفق النّظام الإلهي، ليقوم بمهام الخلافة بصدق وإخلاص، فتتحقق غاية وجود الإنسان[1]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

ولا بدّ للإنسان أن يصلح نفسه قبل مساهمته لإصلاح مجتمعه، وهو متعلّق بإرادة الإنسان، وإصلاحه يبدأ من القلب، فإذا صلحت صلح الجسد كلّه، لأنّ للقلب أثرًا كبيرًا في صلاح الإنسان أو فساده، وحريٌّ إذا صلح الإنسان أن يصلح غيره.

لقد ميّز الله أمة الإسلام، وجعلهم عُدولًا خِيارًا بين سائر الأمم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣].

ولذا كانت شريعة الإسلام هي شريعة العدل والقسط والإنصاف، العدل مع النَّفس ومع الأهل ومع الأصدقاء والأعداء.

والشّريعة المطهرة جاءت لتحقيق مصالح العباد، ورفع الحرج عنهم، وتأصيل روح الأخوة بين المسلمين، وتربية النّفس البشرية علىٰ معاني العِزّة والكرامة والأمانة، فأقرّت الحقوق بجميع أنواعها، وأعطت كلّ ذي حقٍّ حقَّه، ورسمت الطريق في كيفية استعمال هذه الحقوق وأساليب ممارستها بما يحقِّق التَّكافل الاجتماعي والتَّضامن بين الأفراد وبما يؤمن الاستقرار في المعاملات بشتَّىٰ صورها، وبما يوازن بين المِلكية الخاصّة والمصالح العامّة.

ومن جانب الأحكام الاجتماعية: حرصت الشَّريعة علىٰ تماسك المجتمع وترابطه، فجاءت التَّشريعات التي تؤدِّي إلىٰ تقوية الرَّوابط الاجتماعية، كـ: برِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وحقوق الزّوجين والعدل بين الأزواج، والعدل بين الأبناء، والنَّفقة الواجبة لهم، وإصلاح ذات البين، والعلاقة بين الزّوجين، وغيرها من التّشريعات التي تكفل للمجتمع والأسرة أمنها واستقرارها.

---

(١) إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة (٤٨٢).

كما يقوم فيه القادرون علىٰ مساعدة غير القادرين، فالمجتمع فيه الضَّعيف والمسكين والعاجز والأرامل والأيتام، ولذلك جاءت التّشريعات بما يكفل احتياجات هؤلاء جميعًا[١].

ومن جانب الأحكام السّياسية: تميّز النّظام السّياسي الإسلاميّ بانفراده بتحقيق المحبة، والتّناصح، والتّناصر بين الحاكم والمحكوم، فقد حدّد النّظام الإسلامي العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فالحاكم وظيفته حماية الدّين، ورعاية مصالح المسلمين، وإقامة العدل، يتعاون مع رعيته لإقامة شرع الله وتطبيقه، كما أنّ له حقّ الطّاعة في غير معصية الله، ومناصرته، والنصح له، ومقاتلة من بغىٰ عليه، وخرج عن طاعته، ويعدّ الاستقرار السّياسي من المقومات الأساسية لتحقيق الأمن الاجتماعي من خلال الحقوق الشّرعية للفرد عبر حكم عادل رادع يراعي شؤون المواطنين، ويعمل علىٰ توفير أسباب الطمأنينة لهم. وهذا هو الأمن الشّامل.

ومن جانب الأحكام الاقتصادية: قد حثّ الإسلام علىٰ العمل، وعدّه واجبًا علىٰ القادر عليه. ونظّمت الشّريعة المعاملات المالية بين الناس، فأحلّت البيع، وحرَّمت الرِّبا، وأكل أموال النَّاس بالباطل، كما حرَّمت الغِشّ، والغَبن، والتَّدليس، والاحتكار، والمتاجرة بالمحرّمات التي تفسد حياة الناس. وأمرت بالسَّماحة، والتّيسير علىٰ النّاس، والصِّدق في المعاملة. كما دعت إلىٰ الوفاء بالعقود وتوثيقها، والإشهاد عليها ممّا يحفظ الحقوق المالية، ويمنع أسباب النِّزاع. كما دعت إلىٰ الزَّكاة، والصدقات، وإطعام الطّعام، والهبات، والوصايا المالية الَّتي تنفع المجتمع. وغيرها من التّشريعات الَّتي هدفت إلىٰ تحقيق الأمن والاستقرار.

وهكذا نظَّمت الشّريعة الإسلامية جميع مستويات الحياة الإنسانية، حتىٰ يحقق مصالحه الدّنيوية والأخروية التي جاءت الشّريعة الإسلامية بنصوصها القطعية والظنية لحفظها من جانبي الوجود والعدم. وعند التَّمسك بها والسّير عليها يثمر المجتمع الصافي.

والإصلاح الذي يرفع الأمة إلىٰ منزلة تجلّها القلوب، وتهابها العيون، وتجعلها في مأمن من أن تتداعىٰ علىٰ أركانها، وتسقط في خمول واستكانة، هو: الإصلاح الذي يرشد إليه الدّين الحقّ. ذلك أنّ الدّين الحقّ يسير بالنّاس علىٰ الطريقة الوُسطىٰ، فلا يأمر بما فيه حرج، ولا يجاري أواء النّاس ابتغاء مرضاتهم[٢]. ولا شكّ أنّ العوامل التي قام بها إمام المرسلين وخاتم

---

(١) الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي (٢١).

(٢) أثر الدين في إصلاح المجتمع.

النّبيين، وقام بها صحابته الكرام لإصلاح المجتمع الإسلامي هي نفسها العوامل التي يجبّ التمسّك بها لإصلاح مجتمعاتنا وواقع أمّتنا، ولن يصلح آخر هذه الأمّة، إلَّا إذا صلح به أوّلها، كما قال أهل العلم والإيمان، وهو: اتّباع كتاب الله تعالىٰ وسُنّة رسوله ﷺ، وأوّل أساس تكلّم عليه الصلاة والسلام، ودعا إليه، وسار عليه، هو: دعوة النّاس إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، وإرشادهم إلىٰ ما يحبّه الله تعالىٰ، ويرضاه. وهذا أساس صلاح هذه الأمّة، من أخذ به واستقام عليه علمًا وعملًا ودعوةً وصبرًا، استقام له أمره، وأصلح الله به الأمّة، علىٰ قدر جهاده وقدرته وأسبابه، ومن أضاعه ضاع، وهلك.

ويجب علىٰ الإنسان أن يعظّم أمر الله ونهيه، وأن يستقرّ خوف الله -عزّ وجلّ- في قلبه، فوق كلّ شيء، ويصبر، ويعلّق قلبه بالله، ويخافه سبحانه، ويرجو منه النّصر جلّ وعلا، ويتمسّك بدين الله، والإيمان به، والإيمان برسوله ﷺ، والاستقامة علىٰ دين الله. وقد وعد الله لمن استقام علىٰ الإيمان والهدىٰ والعمل الصالح: أن الله يستخلفه في الأرض، ويمكّن له دينه، ويؤمنه ويعيذه من شرّ الأعداء ومكائدهم، وينصره عليهم، قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور].

والإخلاص لله تعالىٰ في العبادة والإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام، وتعظيم أمره ونهيه باتّباع شريعته، والحذر ممّا يخالفها، وأداء فرائض الله من صلاة وزكاة وصوم وحجّ، وغير ذلك. والنّهي عن محارم الله من الشّرك وما دونه من سائر المعاصي والشّرور، والسّعي بالإصلاح بين الناس بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والدّعوة إلىٰ الله، وإصلاح ذات البين= مما يتولىٰ إصلاح المجتمع. وأي مجتمع لن يرتقي بنفسه إلا بالإسلام، ولن يكتمل إسلامها إلا بتعظيم الله سبحانه وتعالىٰ الذي هو من تمام التوحيد، وذلك بتحقيق التوحيد والتعبد لله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلا التي تبين مراقبة الله للعباد.

فمن عظّم الله سبحانه وتعالىٰ حق تعظيم لا بد أن تظهر علامات ذلك علىٰ حاله وجوارحه وأفعاله، فلا تراه إلَّا خاشعًا ضارعًا باكيًا كلما تفكّر في العذاب، وقَّافًا عند حدود الله، سبَّاقًا إلىٰ الطّاعات، فارًّا من المعاصي والسّيئات.

ويحصل ذلك باستحضار عظمة الله، والخوف منه ومن عقابه، واجتناب محارمه ونواهيه. وفعلِ أوامره، والاجتهاد في العبادات والقربات. فهذا هو أصل التقوىٰ؛ إذ ليس بكثرة الصيام وقيامِ اللّيالي فقط، وإنَّما التقوىٰ بأداء ما افترض الله، وترك معصيته خوفًا منه.

المحور الثالث: آثار عدم تعظيم الله تعالى

إنَّ الله تعالىٰ قد ذمّ من لم يعظمه حقّ عظمته، ولم يعرفه حقّ معرفته، ولا وصفه حقّ صفته، قال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣].

قال ابن عبَّاس: «ما لكم لا تعظِّمون الله حقَّ عظمته»[(١)]، وعدم استشعار عظمة الله في القلوب والبعد عن خشيته والخوف منه سبحانه، يسبب الغفلة والتّساهل في أوامر الله، وبالتّالي يقع الإنسان في المعاصي، فحينئذ لا فائدة من اعتقاده لألوهية الله سبحانه وتعالىٰ.

ولعدم تعظيم الله تعالىٰ آثارٌ كثيرةٌ علىٰ الفرد في الدّنيا والآخرة وعلىٰ المجتمع، ويتبين ذلك في النقاط التالية:

١- فساد القلب: عدم تعظيم الله تعالىٰ يجر العبد إلىٰ الوقوع في المعاصي والذّنوب التي تُذهب حياة القلب ،وغيرتها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن عظمة الله تعالىٰ في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته التي تحول بينه وبين الذنوب»، وعدمها في قلب العبد تقتضي عدم تعظيم حرماته، وبالتالي يصبح القبيح لديه حسنًا، والحسن قبيحًا، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والعياذ بالله.

٢- الوقوع في المعاصي: وهي سبب كل بلاء ومحنة والبعد عن الله تعالىٰ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكفىٰ بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله -جلّ جلاله-، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقّه، ومن بعض عقوبة هذا أن يرفع الله -عزّ وجلّ- مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم ويستخفون به، كما هان عليه أمره، واستخف به»

٣- الظلم: لا شكّ أن من أتىٰ محارم الله بسبب عدم تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ فقد ظلم نفسه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال الإمام السِّعديُّ: «والظّلم -هاهنا- يشمل الظلم فيما بين العبد وربِّه، وظلمه لعباد الله»[(٢)].

٤- الغفلة عن ذكر الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣/ ٦٣٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٧).

٥- عدم القيام بأوامر الله -سبحانه وتعالىٰ-. من لم يعظِّم الله حقّ تعظيمه فلا يؤدِّي الواجبات علىٰ الوجه المطلوب من الصَّلاة والزّكاة وسائر العبادات، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥]. وهذا من أشدّ ما ينزع البركة من الأموال والأولاد والأرزاق والأجساد.

٦- وكلّ هذه المضارّ والآثار الفردية التي سبق ذكرها تعود عاقبتها علىٰ الأمة والمجتمع، فتنتشر الفوضىٰ، وكلّ ما يهدد الأمن الفردي والاجتماعي. ولذا لا بد من بذل الجهد في غرس تعظيم الله تعالىٰ في قلوب النَّاس والسّير في الطّريق الذي يحقّق ذلك.

المحور الرابع: مقومات تحصين المجتمع الإسلامي من الفتن

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ النَّاظر لواقع الأمّة يجد وضعًا سيئًا لم يمرّ عليها طوال الأزمنة المتقدمة، لقد أوشكت أن تعدم كثيرٌ من المبادئ الإسلامية في بعض المجتمعات الإسلامية، وعليه يجب تنبيه القادة بدورهم ليقضوا علىٰ مشاكل مجتمعاتنا.

كان النَّبيُّ ﷺ يحرص كلّ الحرص علىٰ تعليم أصحابه كيفيةَ الخروج من المأزق قبل أن تحصل، ويعلمهم كيفيةَ الوقاية من الفتن وسبلِ الخروج منها بعد وقوعها. والعالم بأسره يعيش في حالة اضطراب وقلق، وما من مجتمع إلَّا ويواجه فتنًا وشُبُهات ومغريات، كل مجتمع بقدر ما يناسبه، ويصلح معه، قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت]، والفتن التي تواجه بها الفرد والمجتمع كثيرة في السرّ والعلن. وتحيط بالمجتمع فتن كثيرة أصابت مختلف الشّرائح والطّبقات، وامتد خطرها لتهدد منظومة القيم والأخلاق في المجتمع، والفتن في عصرنا تأخذ صورًا شتَّىٰ:

١- فتنة المال: وتتجلَّىٰ فتنة المال في صور عدَّة، منها:
- المكاثرة فيه، بحيث لا يقف الإنسان عند حدّ، فهو يطلب المزيد دائمًا.
- قلّة التحرز من المكاسب المحرّمة، التي يحمله عليها حبّ المال، ومجاراة الناس.
- الجهل بما يحل ويحرم من المكاسب.
- منع الحقوق الواجبة في المال من الزكاة، وغيرها.

٢- فتن الشَّهوات: بسبب الهجمة الإعلامية الشَّرسة والخطة الممنهجة التي تنفذها مئات القنوات الإعلامية، مدعومة بإسناد صحفي؛ لإفساد منظومة القيم في المجتمع، بالصور الفاتنة، والبرامج المفسدة لمن يهوىٰ التسلية، والأغنية الهابطة لمن يهوىٰ الاستماع، والتمثيليات الساقطة التي تزيِّن الفاحشة في النّفوس، فالقنوات الفضائية مكَّنت المفسدين والمفسدات من التّسلل إلىٰ بيوت المسلمين دون استئذان، ثمّ جاءت شبكات الإنترنت بالإباحية؛ لتكمل الدّور الذي فات القنوات.

٣- فتنة النّساء، ومن صورها:
- الاختلاط والتَّبَرج والسُّفور في الأسواق.

- والخلوة المحرمة، وفي ذلك مخاطر كثيرة، منها: خشية الوقوع في الفاحشة.
- الأندية الرياضية النسائية، والتي بدأت تنتشر شيئًا فشيئًا.

٤- فتنة التَّغريب والعلمنة من خلال الطعن في الثوابت.

٥- فتنة التكفير التي أدّت إلىٰ استحلال دماء الأبرياء التي حرَّم الله إلَّا بالحق، وتكفير المجتمع وولاة الأمر. والتفجير والتخريب واستهداف الممتلكات. لتشويه صورة الإسلام عند غير المسلم.

٦- فتنة العولمة: بسبب الغزو الفكري الذي أصاب كثيرًا من الشباب، لصرفهم عن دينهم ومسخ هويتهم وتغيير انتماءاتهم وغير ذلك من الفتن المعاصرة.

ومن تعاليم الرّسول ﷺ للخروج من الفتن في المجتمع بعد وقوعها ما يأتي:

١- الاستعاذة بالله تعالىٰ من الفتن، فهو مسلك سوي ومنهج نبوي، فقد علّمنا النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن نكون قريبين من الله في كل الأحوال، نستمد منه العون والسكينة والتفاؤل والأمل، فتكون قلوبنا مضيئة مشرقة، ويقيننا ثابتًا صلبًا، لا تزلزله الفتن، ولا تضعفه المحن، بل يزداد قوة ورسوخًا بكثرة الدعاء واللجوء. وقد أخبرت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يدعو في الصَّلاة: «**اللَّهمَّ، إنِّي أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدَّجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات**»[(١)]، ويقول: «**اللَّهمَّ، إنِّي أعوذ بك من فتنة النَّار، وعذاب النَّار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، ومن شرِّ فتنة الغنىٰ، ومن شرِّ فتنة الفقر، وأعوذ بك من شرِّ فتنة المسيح الدَّجَّال**»[(٢)]، وهكذا أرشدنا النَّبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للدُّعاء في الفتن.

٢- الرُّجوع إلىٰ الله تعالىٰ، وتقوية الصِلة به، فهو سبحانه بيده كلّ شيء، وهو الحكيم القادر، يقدِّر في كونه ما شاء، ويقلِّب القلوب كيف شاء، لحكمة بالغة باهرة، وهو الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع، فلا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفع، ولا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لمن منع، أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

٣- الابتعاد عن المنظمات الإرهابية والمنظمات ذات الأجندات الخفية، ففي أوقات الفتن تنشط التنظيمات المختلفة التي تسعىٰ للإضرار بالشعوب والأوطان، وتزداد

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٢/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه مسلمٌ (٤،/ ٢٠٧٨).

وتيرة أنشطتها لاغتيال العقول والتأثير فيها، ومحاولة اصطياد النفوس الضعيفة، والمتاجرة بالآلام والجراحات، وإثارة العواطف وتهييجها، ومن وسائل التصدي لهذه التنظيمات تحصين العقول بالعلم والوعي، وتقوية النفوس بالصبر واليقين، وتهذيب العواطف بالحلم والروية، فترجع حينها هذه التنظيمات خائبة مدحورة.

٤- الحذر من الشائعات والمؤثرات السلبية، ففي أوقات الفتن تكثر الشائعات المغرضة، وتنتشر الفتاوىٰ المضللة، والعاقل يحذر من ذلك، ويتفطن لأضراره، فإن الشائعات تلعب دورًا سلبيًا خطيرًا، وبالخصوص في أوقات الأزمات والحروب، حيث تحرص الجهات المعادية علىٰ توظيف الشائعات بشتىٰ الطرق لتحقيق أجنداتها والإضرار بغيرها، وذلك لأهداف كثيرة، منها: كسر الروح المعنوية للمجتمعات، وزعزعة الثقة بالحكومات، ومحاولة التأثير في العواطف والاتجاهات، وتفكيك النسيج المجتمعي، وتأجيج الخلاف الداخلي، ولذلك فلا بد من اليقظة والانتباه، ودفع كل كلمة تستهدف الدين والوطن[١].

٥- البعد عن أسباب الشقاق والخلاف، فإن أهل الفتن يسعون جاهدين إلىٰ بث أسباب الفرقة في المجتمعات، وإشعال نار العداوات، لإيغار الصدور بعضها علىٰ بعض، وتأجيج الصراعات الداخلية، وتمرير الأجندات الطائفية، لتنتشر الفوضىٰ، ويذهب الأمان، وتضيع المصالح والحقوق، والعاقل ينتبه لذلك، فيسعىٰ لرأب الصدع، وتعزيز أسباب الوفاق، وجمع القلوب علىٰ كلمة سواء، ليكون البيت موحدًا، والصف متلاحمًا، فلا يجد الأعداء ثغرة ينفذون منها لبث سموم الفرقة والخلاف[٢].

٦- الأخوة: الشعور المتبادل بين الفرد والآخر هو أساس التضامن والتماسك في المجتمع. أن يوجه المسلم مشاعر الحب والود إلىٰ المسلم الآخر فيعملان معًا علىٰ ترسيخ قواعد هذا الحب داخل المجتمع. عندما توجد هذه المشاعر تتولد أحاسيس اجتماعية من قبيل الخوف من إلحاق الضرر بأبناء المجتمع، والعمل علىٰ توفير الراحة والرفاهية لأبنائه، مثله مثل الأب الذي يحرص علىٰ حياة أبنائه يخشىٰ عليهم من ظلمة الليل ومن الريح العاصف ولا يهدأ له بال إلا عندما يُشاهد أبناءه في راحة واستقرار بعيدًا عن مواطن الخطر. وهذه المشاعر لن تتكون إلا في إطار الأخوة، عندما يشعر كل فرد في المجتمع بأنه أخ للفرد الآخر. ومساحة الأخوة في الإسلام

---

(١) المرجع السابق (٥).

(٢) المرجع السابق (٦).

أوسع من المفهوم المتعارف اجتماعيًا، فهو يطلق علىٰ كل فرد مسلم فكل من ينتمي إلىٰ عقيدته هم أخوة له، تتكون بينهم قواسم مشتركة من الحب المتبادل والعمل المشترك والميدان الواحد.

٧- التعاون الاقتصادي: من وسائل تحصين المجتمع الإسلامي، وحمايته من الانهيار والتأثُّر بالفكر الاستعماري، والثقافات الأجنبية، وهي تحقيق التقدُّم العلمي والصناعي، والتنمية الاقتصادية، وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والسكنية، وتطوير الانتاج؛ لحلِّ مشاكل الإنسان في ظل المجتمع الإسلامي، ممّا يوفّر له حاجاته المعاشيّة، ويُشعره بالعدالة الاجتماعية، والتقدُّم العلمي، والرفاه الاجتماعي في ظلِّ العقيدة الإسلامية، فعندما يكون الناس متعاونين فيما بينهم لبناء اقتصاد مزدهر تنتعش مفاصل المجتمع ويستتب فيها الأمن فلا تجد من يسلب الآخرين حقوقهم ولا تجد من يحاول أن يستغني علىٰ حساب المجتمع. بل تجد الجميع بحركة متصاعدة نحو بناء الاقتصاد سواء كان في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو الخدمات. فعندما يكون المجتمع متكاتفا روحًا وجسدًا تجد كل عضو فيه وهو يكمل عمل العضو الآخر، فالمزارع يزرع في الحقل والتاجر يأخذ محصوله إلىٰ المصنع والعامل يصنع ما تنتجه الأرض وما ينتجه المزارع وهكذا تستمر الحلقة الاقتصادية بصورة مرتبة ودقيقة حاملة معها المجتمع إلىٰ الرقي والاستقرار والأمن وقد حظي التعاون الاقتصادي باهتمام بالغ من قبل النظام الإسلامي فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**إنَّ أطيبَ الكَسبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الذِّين إذا حَدَّثوا لم يَكْذِبُوا، وإذا أُئْتِمنوا لم يَخُونُوا، وإذا وَعَدُوا لم يُخْلِفُوا، وإذا اشْتَرَوا لم يَذُمُّوا، وإذا باعُوا لم يُطْرُوا، وإذا كان عليهم لم يَمْطُلُوا، وإذا كان إليهم لم يُعَسِّروا**»[(١)].

والسعي في قضاء حوائج الناس هو جزء من التعاون الاقتصادي الذي بوجوده ينتعش المجتمع، لأن وجود إنسان محتاج يشكل ثغرة اجتماعية واقتصادية سيكون لها آثارا وخيمة علىٰ اقتصاد المجتمع وبالتالي سيقع تأثيرها علىٰ جميع أبناء المجتمع بما فيه الشخص الغني، فهؤلاء الذين يسعون في قضاء حوائج الناس بتقديم المال لهم سواء عن طريق الهدية أو الصدقة أو القرض سيساهمون لافي بناء الحياة الاقتصادية المرفهة.

٨- التَّسامح ونبذ العنف: ليس هناك ما يفتح النار علىٰ الأمن الاجتماعي مثل العنف واستخدام القوة في حسم الأمور بدلًا من العودة إلىٰ القانون. وقد انتشر العنف في

---

(١) أخرجه البيهقيُّ في (شعب الإيمان ٤/ ٢٢١).

المجتمعات بسبب انحسار حالة التسامح والتعاطف والتوادد. وأصبح العنف اليوم ظاهرة خطيرة تهدد المجتمعات بالانهيار والانزلاق إلىٰ حروب وصراعات داخلية، وأمامنا مجتمعات كان الأخ فيها يقتل أخاه بسبب الصراعات العقدية التي رافقتها ظاهرة العنف، الأمر الذي يستدعي منا وقفة لتأمل هذه الظاهرة لمعرفة أسبابها ونتائجها.

لا شكَّ أنَّ ظاهرة العنف أكثر ما تتفشىٰ في المجتمعات التي ينتشر فيها الجهل والتطرف والذي يؤدي إلىٰ سلب الأحقية عن الآخرين وهذا هو منشأ التطرف؛ عندما يعتقد أحدنا أنه علىٰ حق والآخرين علىٰ باطل بدون حجة منطقية ولا دليل عقلي فيحاول أن يثبت أحقيته من خلال القوة. فالقوة هي الوسيلة البديلة عن الحوار والإقناع ودحض الدليل بالدليل والحجة بالحجة، من هنا نشأ العنف في المجتمعات التي يسوده الجهل والتطرف وهذا ما نبذه الإسلام جملة وتفصيلا واستأصل هذه الظاهرة من جذورها فدعا إلىٰ الحوار بدلا من التزمت علىٰ الرأي وطالب المسلم بأن يسلم للحق أينما وجده حتىٰ لو كان عند أعدائه. وألا يتكبر علىٰ أصحاب الحق وليتواضع لهم، وبهذا المنهج الرصين تمكن الإسلام أنه يقلع جذور التطرف في المجتمع.

والعنف من أخطر ما يواجه المجتمع، ويسلب منه الأمن والاستقرار، وينشر الخوف والهلع بين الناس، فجاءت دعوة الإسلام إلىٰ التسامح، إلىٰ إقالة العثرة والزّلَّة، وقبول العذر، وغفران الذنب، إلىٰ العفو عند المقدرة، والرفق بعباد الله، وجعل ثمن الرّفق بالآخرين الرّحمة الإلهية التي تنزل عليه يوم القيامة، بينما جعل جريمة قتل إنسان واحد معادل بقتل أمة، يقول تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وطالما لم يسفك الرَّجلُ دمًا حرامًا؛ فهو في مأمنٍ من كلّ شيءٍ فالدم هو النقطة الحمراء التي يجب أن لا يصله الإنسانُ مهما كلَّفه ذلك من ثمن.

ونظرة فاحصة إلىٰ المجتمعات التي ينتشر فيها التسامح لا نجد للعنف إليها طريقًا، وهكذا كان المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام، وعندما انتشر فيه التطرف دَبَّ فيه العنف، وانتشر فيه الإرهاب إلىٰ يومنا هذا.

٩- الشُّعورُ بالمسؤولية: قوة الأنظمة تقاس بمقدار ما تستطيع أن توجد لدىٰ رعاياها الشُّعورَ بالمسؤولية، فالنظام الذي يتصف أبناؤه بقدر كبير من الشعور بالمسؤولية

والنظام القوي القادر علىٰ فرض هيمنته علىٰ الجميع. الشعور بالمسؤولية هو الزخم الذي ينتج الطاقة الخلاقة والتي بواسطتها تتمكن من تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

فإحساس الإنسان بأنَّه مسؤول عن بني جنسه الذين يعيشون معه، وأنه مسؤول عن الأرض التي يعيش عليها والمناخ الذي يتنفس منه، وأنه مسؤول حتىٰ عن الحيوان والجماد يجعله عنصرًا إيجابيًا للمجتمع يدرك المخاطر التي تهدد أبناء جنسه والأضرار التي تلحق بالأرض والبيئة والحيوان والنبات.

فالإحساس بالمسؤولية يولد لدىٰ الإنسان شعورًا بأن كل شيء من حوله هو مسؤول عنه، هو مسؤول عن الأرض التي يعيش عليها والتي بدونها لا يستطيع أن يحيىٰ، كذلك الأمر بالنسبة إلىٰ الهواء والماء والتراب والإنسان والحيوان والنبات وكل شيء.

هكذا يتبين لنا أن دائرة المسؤولية عند الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تتوسع لتشمل حتىٰ البهائم والبقاع وهي الأراضي المتروكة التي تنتظر الإعمار، وهذا الأثر يؤكد حجم المسؤولية التي تقع علىٰ عاتق الإنسان باعتباره خليفة الله علىٰ الأرض فهو يتحمل مسؤولية كبيرة إزاء ما في الأرض وما عليها وحتىٰ الذي في أعماقها ولا يُمكن أداء هذه المسؤولية إلا في ظرف يسوده الأمن والاستقرار ولابد من إيجاد هذا الظرف لتسهل المهمة أمام الإنسانية في عمارة الأرض وإنشاء المدن والحضارات البشرية.

١٠- فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من وسائل الحفاظ علىٰ المجتمع الإسلامي، ونظام الحياة القائم علىٰ أساس الإسلام، وإبعاد الأفراد والجماعات عن الانحراف والفساد هي: فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكلُّ مسلم ملزم بأن يؤدّي واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح المجتمع، ومكافحة الفساد السياسي والاقتصادي والأخلاقي والثقافي وغير ذلك من أشكال الفساد الاجتماعي. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

وكما يجب أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل فردي، يجب أداؤه بشكل جماعي، أيضًا، إذا عجز العقل الفردي عن تحقيق الإصلاح المطلوب، وعندئذ يتوجّب تكوين الجمعيّات والمنظّمات والأحزاب الإسلامية والنوادي والنقابات والمؤسسات الاجتماعية والثقافية المختلفة، لأداء هذه الفريضة.

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، فقد اتضح من خلال إنجاز هذا البحث أن التوحيد أعظم الطاعات وأساسها، وهو أعظم أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، وشرط لدخول الجنة، وهو إفراد الله بالعبادة، ولأجله خلق الله الجن والإنس وبعث النبيين عليهم السلام، ولا يمكن أن تصل العبادة إلىٰ أعلىٰ كمالها إلا بتعظيم المعبود، ولقد جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في بيان فضل تعظيم الله؛ فالتعظيم يولِّد في النفس الخوف من المعظَّم.

وعدم تعظيم الله في القلوب يسبب الوقوع في المعاصي، ويقع علىٰ المجتمع آثار ذلك المعاصي، وإذا حلَّت المعاصي والجريمة مكان الأمن؛ تحرم البلاد من الاستقرار، وتتوقف عملية التنمية، والمشاريع الزراعية والصناعية، عندئذ تكثر الاضطرابات في المجتمع. والإصلاح أمر يقتضيه التكليف لأن الإنسان مكلف بعمارة الكون وفق المنهج الإلهي، وترك العصاة يعبثون في الأرض فسادا، يؤدي إلىٰ اختلال نظام الكون، مما يجعل الحياة مضطربة، فالإصلاح ضروري لبقاء الجنس البشري،

والإصلاح الذي يرفع الأمّة إلىٰ منزلة تجلّها القلوب، وتهابها العيون، وتجعلها في مأمن من أن تتداعىٰ علىٰ أركانها، وتسقط في خمول واستكانة، هو: الإصلاح الذي يُرشد إليه الدّين، ذلك أنّ الدّين الحقّ يسير بالنّاس علىٰ الطريقة الوُسطىٰ، فلا يأمر بما فيه حرجٌ، ولا يجاري أهواء النّاس ابتغاء مرضاتهم. ولا شكّ أنّ العوامل التي قام بها إمام المرسلين وخاتم النّبيين ﷺ، وقام بها صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لإصلاح المجتمع الإسلامي هي نفسها العوامل التي يجب التمسك بها لإصلاح مجتمعاتنا وواقع أمتنا، ولن يصلح آخر هذه الأمّة إلَّا بما صلح به أوّلها.

ولا بد للإنسان أن يصلح نفسه قبل المساهمة لإصلاح مجتمعه، وهو متعلق بإرادة الإنسان، وإصلاحه يبدأ من القلب فإذا صلحت صلح الجسد كله، لأن للقلب أثرا كبيرا في صلاح الإنسان أو فساده، وطبيعي إذا صلح الإنسان أن يصلح غيره.

وكان النَّبيُّ ﷺ يحرص كلّ الحرص علىٰ تعليم أصحابه كيفية الخروج من المأزق قبل أن تحصل، ويعلمهم كيفية الوقاية من الفتن وسبل الخروج منها بعد وقوعها، والفتن التي تواجه المجتمعات تأخذ صورا شتىٰ، والتمسك بتعاليم الرسول ﷺ للخروج من الفتن في

المجتمع بعد وقوعها هو ما يقضي عليها. منها: الاستعاذة بالله تعالىٰ من الفتن، فهو مسلك سوي ومنهج نبوي، والرجوع إلىٰ الله تعالىٰ، وتقوية الصلة به، فهو سبحانه بيده كل شيء، وهو الحكيم القادر، يقدِّر في كونه ما شاء، ويقلِّب القلوب كيف شاء، لحكمة بالغة باهرة. وغيرها من التعاليم التي سبق ذكرها في المحور الرابع.

وأسأل الله عزّ وجلّ أن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يوفّقنا جميعًا لما فيه رضاه، ولما فيه صلاح المسلمين،،

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣- الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم، الحرس الوطني السعودي، سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م

٦- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الجيل بيروت

٧- الأسماء والصفات نقلا وعقلا، محمد الأمين الشنقيطي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣هـ مايو ١٩٧٣م

٨- إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٤، العدد الأول ٢٠٠٧م

٩- الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي، عماد وإيمان محمد رضا، بحث مقدم إلىٰ المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت، يومي ١٣-١٤/ شعبان/ ١٤٣٣هـ الموافق ٣-٤/ تموز/ ٢٠١٢م

١٠- أثر الدين في إصلاح المجتمع، محمد الخضر حسين، موقع الدرر السنية، يوم الأربعاء ١٩/ ٩/ ٢٠١٩م.

١١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار طوق النجاة الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ

١٢- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.